الفصل الأول

الطريق إلى إخلاء الأرض

"إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم و تمحون جميع تصاويرهم وتخربون جميع مرتفعاتهم!! "

سفر العدد الإصحاح ٣٣

الفصل الأول

الطريق إلى إخلاء الأرض

نحاول في هذه الدراسة أن ننفض الغبار عن أوهام اللوبي الصهيوني Zionist Lobby وخداع أجهزة الإعلام التي حاولت تشويه صورة كل فلسطيني وتصوره خائن باع أرضه لليهود وبكامل إرادته، وفي هذه الدراسة نتعرض لتلك الإشكالية ونفندها بأسلوب علمي بعيداً عن الأهواء والنزعات النفسية والقومية لتكون دراسة هدفها الأول تصحيح مفاهيم مغلوطة أو مشوشة.

جذور المشكلة

ولمناقشة تلك القضية الشائكة لابد من العودة إلى جذور المشكلة منذ بداية من القرن التاسع عشر أثناء الحكم العثماني[١]، حيث كانت الأراضي الفلسطينية من حيث ملكيتها تتبع جهات عدة: ملكيات اقطاعية كبيرة Properties of a large feudal يتقاسمها ملاك كبار فلسطينيون وعرب غير فلسطينيين مثل السوريين واللبنانيين الذين تجمعت في أيديهم الأراضي غالباً في ظل وحدة الأرض أيام الخلافة العثمانية؛ ثم أراضي الوقف الإسلامي، وأراضي الكنائس المسيحية، والأراضي الخاصة لصغار الملاك الفلسطينيين[٢].

هذا وقد عمل الصهاينة على تنفيذ مخططاتهم لاغتصاب الأرض العربية بكافة السبل وسوف نتناولها فيما يلي:

النواة الأولى للمأساة (حي مونتفيوري)

كانت البدايات الأولى لشراء اليهود أراضي في فلسطين عام ١٨٥٥م - نتيجة تدخل بريطانيا لدى السلطات العثمانية - على يد موشي مونتفيوري Moses Montefiore [٣] زمن السلطان عبد المجيد[١]، فأصدر فرماناً سنة ١٨٤٩ يجيز لليهود

---

(١) أصبحت فلسطين خاضعة للحكم العثماني منذ عام (١٥١٦ – ١٩١٧ / ٩٢٢هـ- ١٣٣٦هـ).

(٢) توجد مئات الآلاف من سندات الملكية لصغار الملاك الفلسطينيين ما زالت في حوزتهم أو حوزة أبنائهم.

(٣) موشى مونتفيوري (١٧٨٤-١٨٨٥) ثري ومالي يهودي بريطاني، زعيم الجماعة اليهودية في بريطانيا، ومن كبار المدافعين عن الحقوق المدنية لليهود في إنجلترا والعالم. ولد في بريطانيا لأسرة إنجليزية ذات أصول إيطالية سفاردية استقرت في إنجلترا في القرن الثامن عشر. وبدأ عمله كسمسار في بورصة لندن حيث حقق ثراء سريعا. وقد ارتبط بعائلة روتشيلد المالية الثرية من خلال المصاهرة، الأمر الذي ساعده في مجال أعماله. وقد كان مونتفيوري من أوائل المشاركين في تأسيس البنوك الصناعية بالتعاون مع المؤسسة الإنجليزية - الأمريكية

شراء الأراضي في الديار المقدسة في منطقة موزا (غرب القدس) وقد أقيم عليها فيما بعد الحي اليهودي المعروف بحي مونتفيوري [٢].

العاملة في مجال الماس والمال والتي اشترك في تأسيسها إرنست أوبنهايمر اليهودي الثري رجل الصناعة والمال في جنوب أفريقيا. وقد حقق مونتفيوري ثروة طائلة من خلال أعماله، وهو ما مكنه من اعتزال العمل عام ١٨٢٤. وقد كان مونتفيوري ثاني يهودي يتولى منصب عمدة لندن وأول يهودي يحصل على لقب سير، راجع، موسوعة المسيري، اليهود واليهودية: ج٦، ص، ١٧٧.

(١) عبد المجيد الأول (١٨٢٣ - ١٨٦١)، السلطان رقم ٣١ في الدولة العثمانية. وهو أول خليفة عثماني يرعى مسيرة التغريب تحت شعار الإصلاح والتحديث في الدولة العثمانية، حيث استحدث الباب العالي(رئاسة مجلس الوزراء) الذي أصبح يتولى مقاليد السلطة، ويقاسم السلطان نفوذه، في حكم الدولة، بينما أصبحت مشيخة الإسلام مجرد هيئة شورية. وهو والد السلطان عبد الحميد الثاني، راجع، إسماعيل أحمد ياغي، "الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث"، مكتبة العبيكان، الرياض١٩٩٦م، وعبدالعزيز الشناوي، "الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠.

(٢) للمزيد راجع، روث كارك: الأراضي واستصلاحها أثناء زيارة مونتفيوري الثانية إلى فلسطين ١٨٣٩ م، مجلة كاثدرا، القدس، العدد ٣٣، ١٩٨٦ م، ص ٤، وعادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٧٠٠-١٩١٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٩٩، ومحمد الحزماوي، ملكية الأراضي في فلسطين ١٩١٨- ١٩٤٨، مؤسسة الأسوار، عكا ١٩٩٨.

وبذلك كانت بداية مواطئ القدم للصهاينة في فلسطين من القدس[١] بالذات، قلب العقيدة، ليمتد بعدها كالإخطبوط في أرجاء فلسطين[٢]، واستطاع مونتفيوري من خلال زياراته المتعددة لفلسطين إثارة مزيد من الاهتمام بالمستعمرات "المستوطنات"" اليهودية الصغيرة[٣].

وقد استمرت عملية تسريب الأراضي Diversion of land في فلسطين إلى الأجانب، بعد إقرار إصلاحات وتنظيمات عرفت باسم "التنظيمات الخيرية" عام ١٨٥٦. بموجب هذه التنظيمات أصدرت الدولة العثمانية The Ottoman State – تحت ضغط أوروبي بحجة إصلاح الدولة العثمانية[٤]- قانون الأراضي لسنة ١٨٥٨[٥]، والقانون يتحكم في أراضي الدولة حيازة واستغلالاً وتصرفاً [١].

---

(١) تقع مدينة القدس على خط طول ٣١ 53 درجة شرقي جرينتش، وعلى خط عرض ٤٦ 13 درجة شمالاً. ترتفع ٧٢٠-٨٣٠ متراً عن سطح البحر. وتبعد القدس على خط مستقيم ٥٢كم عن البحر المتوسط وتبعد ٢٢كم عن غرب البحر الميت و٢٥٠كم تبعد عن شمالي البحر الأحمر. والقدس تقع في وسط فلسطين، حيث يحدها من الشمال مدينتا رام الله ونابلس، ومن الجنوب مدينة الخليل، ومن الشرق مدينة أريحا، ومن الغرب مدن اللد والرملة ويافا وغزة. ومن أسماء القدس: [أورسالم – يردسليم – يرد شالايم – شلم – شيلم – سلم – يبوس- يابيني – ياباتي – صهيون – موريا – مدينة الله – مدينة داود – ايلياكبتولينا – مدينة الملك العظيم – ارئيل – بيت المقدس – المدينة المقدسة – مدينة السلام – القدس]، راجع، معجم البلدان، ٢٧٩، وينظر: الأنس الجليل، ٧/١، المعرّب، ١٠٩، ١٥٨، بيت المقدس، الدباغ: ج ١، ق ١٣٨/١ نهاية الأرب، ٢٦٢/١٣، تاريخ سورية، م ١، ح ٢٥٥/١، المفصل في تاريخ القدس، ص ١.

(2) Ben Halpern, The Idea of the Jewish State, Cambridge,Mass,1961,p105.

(3) James Parkes, A History of Palestine from 135 A.D. to Modern Times,New York.1949,p.263.

(٤) محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت ٢٠٠٩ م، ص ١٥.

(٥) راجع، قانون الأراضي لسنة ١٨٥٨، المنشور في مجموعة عارف رمضان (الحكم العثماني)، بتاريخ (١٩٢٥/٦/١)، ص ٧، وهذا القانون وضع الأراضي في فلسطين تحت أقسام رئيسية هي أراضي الملك، أي الحق المطلق في التملك الخاص وهو حق كان مقصورا على الأراضي المبنية والبساتين في المدن والبلدات ومساحات صغيرة في الريف وكانت حصة الملك تعطى

ثم تبع ذلك إصدار العديد من القوانين اللاحقة، فأصدرت لائحة تعليمات بحق سندات الطابو [٢] Land Registry ١٨٥٩، ثم إعلان قانون الطابو ١٨٦١، وملحقاته عام ١٨٦٧م [٣]، ونظام تملك الأجانب ١٨٦٩[٤] سواء كانوا أفراداً أم مؤسسات أو شركات في جميع أراضي الدولة سواء داخل المدن أوخارجها[٥]، و هذا القانون فتح المجال واسعا أمام اليهود للسيطرة على أجزاء من الأراضي الفلسطينية تحت غطاء الامتيازات الأجنبية Capitulations فكان ذلك نواة للاستعمار "للاستيطان" اليهودي المنظم في فلسطين. ونتيجة لذلك قامت الدول الأوروبية كبريطانيا وفرنسا وروسيا بإرسال رعاياها للإقامة في فلسطين والعمل على شراء الأراضي وإقامة المستعمرات [٦]، وبطبيعة الحال كانت المؤسسات الصهيونية أكثر الفئات الأجنبية

بإذن خاص من السلطان و هذا النوع من الملكية هو الوحيد الذي يمكن تحويله قانونيا إلى أراضي وقف أي أراض تكرس رسميا لأغراض دينية لأجل غير مسمى، أراضي ميري وحق الملكية فيها محصور بالدولة ولكن للأفراد حق الوراثة والتصرف المشروط بدفع رسوم التسجيل بدل المثل لسند الملكية الطابو ودفع الضرائب، أراضي المحلول و هي الأراضي الميري التي انتهى حق استغلالها من قبل حامل الطابو سند الملكية إذا ما توفي بدون وصية أو خالف الشروط فلم يدفع الضرائب أو يجدد التسجيل، أراضي الموات أي غير المستغلة والبعيدة عن المستعمرات "المستوطنات" السكنية، الأراضي المتروكة أي التي تستعمل للصالح العام مثل الطرق وأماكن درسات الحصاد وغير ذلك، الأراضي والممتلكات العامة وأراضي الدولة وكانت فئة غير محددة بدقة وكانت تدخل ضمنها ممتلكات السلطان وما تستولي عليه الدولة من المتروك والمحلول والميري في مزاد علني، راجع، هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، الأمانة العامة، جامعة الدول العربية ، ص٢٩ ، وأرشيفهم وتاريخنا، مرجع سابق.

http://www.aljazeera.net/NR/exeres/F0E19CBF-C299-4A9A-AFE7-3A2AF187F207.

(١) محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) مصطلح الطابو هو مختصر ل"الطابو سندي" العثمانية أو سند الطابو ويقصد بها وثيقة الأرض التي قبلت بها شروط الخدمة أو شروط حيازتها وهو في الأصل إجراء للمكافأة على الخدمة المعترف بقيمتها وتستخدم الوثيقة للتدليل على حالتي منح صك التمليك او استئجار الأرض والرسم الواجب دفعه لأجلها، راجع، عماد أحمد الجواهري: الأوضاع الأقطاعية في فلسطين في العصر الحديث، سلسلة دراسات فلسطينية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية بغداد، ١٩٨٣، ص ١٢٩، هامش رقم ١.

(٣) إبراهيم رضوان الجندي: الأرض والفلاح الفلسطيني في ظل الانتداب البريطاني، مجلة آفاق عربية، ع ٨،١٩٧٩ م، ص ٢٨.

(٤) وقبله كان لا يحق للأجنبي استملاك الأراضي في الدولة العثمانية لأي سبب من الأسباب فأصبح لهم حق التملك في البلاد العثمانية عدا الحجاز.

(٥) محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مرجع سابق، ص ١٥.

(٦) المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات.

.http://www.malaf.info/?page=show_details&Id=12&table=table_141&CatId=162

استفادة من هذا القانون حيث اتبعت عدة وسائل للتحايل على القوانين العثمانية، منها وسيلة تسجيل القناصل أو موظفيهم للأراضي العثمانية بأسمائهم الخاصة؛ ثم يتم تسريب هذه الأراضي إلى المهاجرين اليهود Jewish immigrants بواسطة شراء أراض كانت في السابق تعتبر ممتلكات أجنبية، وعمدوا إلى تبادل الأراضي فيحصل اليهود على أراضي الأجانب هؤلاء في فلسطين مقابل اعطائهم أراضي من ممتلكاتهم اليهودية في الخارج(١).

وقد قام عدد من الأجانب والمؤسسات الأجنبية بشراء أو استئجار أراضي مختلفة من فلسطين أهمها منطقة يافا Jaffa الخصيبة. ومن أبرز هؤلاء القنصل الألماني في يافا والقنصل البريطاني في يافا الحاخام افريذلغ والقنصل الفرنسي في عكا Acre والبارون روتشيلد Rothschild والنمساوي يوئيل سلمون وشخصيات أخرى في القنصليات والوكالات التجارية الأجنبية في فلسطين (٢).

وهناك وثيقة من الأرشيف العثماني(٣) Ottoman Archivesتوضح تمكن بعض اليهود الأجانب من شراء قطع أرض صغيرة في فلسطين، لكن تلك الأرض لا تسجّل بإسم اليهودي ذاته بل بإسم قنصلية بلده (أمريكا). وقد جاء فيها والتي هي عبارة عن ورقة ضبط خاصة بمذاكرات مجلس الوكلاء مؤرّخة بـ١٩ جمادى الآخرة ١٣١٨ الموافق لـ ١٩٠٠/١٠/١٤ أنه تم السماح لليهودي الأمريكي " سومون بن ناحومان لوفنشتاين " بشراء حقل ودار بالقدس باسم السفارة الأمريكية بإسطنبول، غير أن ذلك السماح كان مشروطاً بأن يتعهّد الشخص المذكور بعدم توطين المهاجرين Re-establishment واللاجئين اليهود الأجانب في أرضه تلك. كما استخدمت الحركة الصهيونية سلاح الرشوة، وتحايلت بطرق شتى غير مشروعة لتهجير اليهود إلى فلسطين(٤).

والجدير بالذكر أنه لم يكن لليهود أي حيازات للأراضي الزراعية Holdings of agricultural land في فلسطين حتى عام ١٨٦٨ (٥)، ولم تكن لديهم أي خبرات

---

(١) بيان نويهض الحوت: فلسطين (القضية، الشعب، الحضارة) دار الاستقلال، بيروت ١٩٩١، ص٣٩١.

(٢) راجع، عماد أحمد الجواهري: الأوضاع الأقطاعية في فلسطين في العصر الحديث، سلسلة دراسات فلسطينية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مركز الدراسات الفلسطينية بغداد، ١٩٨٣، ص ١٧٠، و معين محمد إسماعيل: ملكية الأراضي في قضاء جنين خلال فترة الاحتلال البريطاني، رسالة ماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا -جامعة النجاح الوطنية -نابلس -فلسطين، ٢٠٠٩ م، المقدمة، حرف ط.

(٣) الوثيقة رقم MV ١٣/١٠١.

(4) Yale W., The Near East, (Michigan: Ann Arbor, 1958), p.149.

(٥) هند أمين البديري: فلسطين وأكذوبة بيع الأراضي، جريدة الأهرام، ع -٤١٤٣٧، ١٩-٥-٢٠٠٠م

تـذكر حتـى أنهـم كـانوا مـادة للتسـلية - كمـا، علـى سـبيل المثـال - عنـدما حـاول المسـتعمرون "المسـتوطنون" فـي ريشـون لتسـيون اسـتعمال الجمـال لجـرّ العربـات كالأحصنة، وقد مالوا إلى أعمال من شأنها المس بالكرامة، و هي ناجمة عن جهلهم باللغة العربيـة وسـبل حيـاة العرب، وأحيانـاً لـم يحـافظوا عـلى عـادات المكـان ولـم يحترموها. فقد كان العرف مثلاً، أن لكل واحد نصيب من المرعى الطبيعي، الأمر الذي يراه الفلاحون "هبة الله "واليهود الذين لم يعرفوا هذا النهج القديم ولم يكن لديهم علم به، والذين خشوا على محصولهم الأول واليسير، رأوا بدخول الرعاة العرب مع قطعانهم اعتداءً على حدود أراضيهم، واستخدموا القوة لطردهم[١]..

وكان عدد اليهود حتى عام ١٨٧٧ م لم يزد عن ١.٣ %، لإجمالي عدد سكان فلسطين، ولكن مع فتح إمكانية تملك الأجانب وتسجيل أراضي كأملاك خاصة، والسماح للأجانب بشراء الأراضي وما تبع ذلك من عملية بناء المستعمرات الصهيونية في أنحاء مختلفة من فلسطين، كان ذلك المحرك الأساسي للمرحلة الأولى من تسرب وانتقال الأراضي من العرب الفلسطينيين إلى غيرهم بما في ذلك مندوبي الحركة الصهيونية[٢].

المحراث والسيف

اتخذ اليهود شعار المحراث والسيف Logo plow and the sword في بداية نشاطهم بفلسطين تعبيراً عن استعمار الأرض والدفاع عنها أي بمعناه العملي الاستيلاء على الأرض ومنع أصحابها من استردادها[٣] ولم تظهر المستعمرات "المستعمرات "المستوطنات"" بشكل منتظم خلال القرن التاسع عشر إلا في عام ١٨٧٨،عندما تمكن مجموعة من يهود القدس من تأسيس مستعمرة "مستوطنة" بتاح تكفا פֶּתַח תִּקְוָה (أي بوابة الأمل) بدعم من المليونير اليهودي روتشيلد. وفي عام ١٨٨٢ م ثم إنشاء ثلاث مستعمرات "مستوطنات" أخرى[٤]، وقامت لجان المستعمرات "المستعمرات "المستوطنات"" Committees settlements بتنظيم الأراضي في كل مستعمرة "مستوطنة" متجاهلة السجلات العقارية في دائرة

---

(١) إلياس شوفاني: العرب والصهيونية ١٨٨٢ -١٩١٤ مقال بجريدة الجريدة
.http://www.aljaredah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=15459

(٢) راسم خمايسي: هكذا سرّبت ونزعت الأرض في فلسطين، مركز بديل لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين.
http://www.badil.org/en/haq-alawda/item/361-article13

(٣) للمزيد راجع، العسكرية الصهيونية، مجموعة باحثين، بإشراف طه المجدوب، المجلد الأول، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٢، ص ٢.

(٤) عبد الرحمن أبو عرفة: الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الجليل، ط١، ١٩٨١، ص١٢.

الأراضي الحكومية "الطابو" واتخذت لنفسها سجلات ملكية خاصة سجلت فيها حدود قطع الأراضي[١]، وقد قاوم أهالي قرية العباسة قرب مدينة يافا و هاجموا المستعمرين "المستوطنين" فتصدت لهم القوات العثمانية[٢].

وقد بدأ الاستيطان الصهيوني الزراعي في فلسطين ابتداءً من ١٨٨٢م، حيث توجه عدد من المهاجرين الذين وصلوا إليها من أوروبا الشرقية، إلى العمل الزراعي، وذلك رغبة من الحركة الصهيونية بتوفير الاستقلال الذاتي Self-sufficiency وعدم الاعتماد على العرب، إلا أنه ما لبث أن ترك العديد منهم مزارعهم، وبحثوا عن مصدر آخر للرزق، كما عاد بعضهم من حيث أتى، و هذا يعود إلى المقاومة العربية Arab resistance في فلسطين من ناحية، وافتقار المزارعين اليهود الأوائل إلى الخبرة الزراعية من ناحية أخرى، ولم يكونوا مؤهلين لتطوير أساليب جديدة في الزراعة [٣] كما أشرنا آنفاً.

وتقول المصادر الإسرائيلية نفسها أنه لم يوجد في العام ١٨٨٢ أكثر من ٢٤،٠٠٠ يهودي داخل فلسطين[٤]، ورغم أن هذا العدد قد تضاعف تقريبا عند أواخر القرن التاسع عشر؛ فالزيادة لم تأت بفضل فائض المواليد عن الوفيات بل جاءت بفعل الموجة الأولى للهجرة الأوربية التي قدمت من روسيا بشكل رئيسي[٥].

اعتراض وتوجس

تزايدت موجات الهجرة اليهودية Jewish immigration إلى فلسطين؛ ففي سنة ١٩٠٠ وصل إلى فلسطين نحو ٥٠٠٠ مزارع يهودي واستوطنوا في ١٩ مستعمرة[٦]، مما أثار قلق وتوجس من عرب فلسطين فوجدنا في عام ١٩٠٢ يشير ألبرت عنتابي، ممثل "بيكا" في القدس أن العداء لليهود يتصاعد، وقد أحسن الإلمام بالظروف المحلية إلى حد لا يمكن إغفال ما أضاف بصريح العبارة: "إن تذمر السكان المحليين نشأ مع ولادة الصهيونية" [٧].

---

(١) دان ياهف: مائة وعشرون عاما من الصراع الصهيوني – الفلسطيني، مرجع سابق، ص ٨.
(٢) واصف منصور: مسألة اللاجئين جوهر القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٧٢.
(٣) أحمد عكاشة: الإطار التاريخي للاقتصاد الإسرائيلي، المكتب الوطني للدفاع عن الأرض
http://www.nbprs.ps/page.php?do=show&action=mo4
(٤) الأرقام مستقاة من الكتاب السنوي الإسرائيلي والرسمي، ١٩٥٠ / ١٩٥١ ، القدس)، ص ٨١.
(٥) جانيت أبو لغد: التحول الديمغرافي لفلسطين، مقال ضمن سلسلة مقالات كتاب تهويد فلسطين: إعداد وتحرير الدكتور إبراهيم أبو لغد، ترجمة: أسعد رزق، مركز الأبحاث، سلسلة كتب فلسطينية، رقم ٣٧، ١٩٧٢ م، ص ١٥٦
(٦) باميلا آن سميث: فلسطين والفلسطينيون ١٨٧٦- ١٩٨٣، ترجمة إلهام بشار، دار الحصاد للنشر، دمشق، ١٩٩١، ص٢٤.
(٧) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨

كما كان أيضاً بيع الأراضي لليهود محل اعتراض وقلق دائمين من أصحاب الأرض الأصليين والقائمين عليها، وهو ما يكشف عنه الأرشيف العثماني حيث نجد تقريرا مرفوعا إلى رئاسة كتابة المابين الهمايوني[١] الجليلة وقد أعده مسؤول رفيع المستوى في يافا يبدو أنه معلوم لدى السلطان لكنه اكتفى بذكر أنه العبد الداعي أي صاحب المعروض الذي يبدأ حديثه قائلا: "جرت العادة لدى الدول التي تطرد هؤلاء اليهود من أراضيها مثل روسيا والنمسا وغيرها بمقتضى مصالحها أن تشد أزرهم وتحميهم في كل مشكلة تظهر نتيجة لذلك فبينما لا يشكل اليهود العثمانيون في يافا سوى أقلية ولا يصل عددهم إلى ألفين فإن عدد الأجانب منهم اقترب من خمسين ألفا وهم يواصلون الدخول إلى أرض فلسطين كل يوم بحجة الزيارة، ويقال إن هؤلاء يعتبرون من الممنوعين حيث تؤخذ جوازات سفرهم من قبل مأموري الميناء وتقضي التعليمات بأن يعادوا إلى بلادهم مع انتهاء مدة الثلاثة شهور المسموح لهم بها بالإقامة هناك ولكن المعاملة التي سيعاملون بها إذا خالفوا ذلك مسكوت عنه لذلك فإنه لم يحدث أن جاء يهودي واحد وعاد إلى بلاده منذ ٢٥ عاما هي بداية المنع بحق هؤلاء اليهود"[٢].

وفيما نقلت الصحف المقدسية تقارير عن التواطؤ السائد بين بعض موظفي دوائر الطابو والحركة الصهيونية، فإن الدولة العثمانية أخطأت في عدم تجنيد الرأي العام Public opinion المتميز بقوة انتمائه للدين والدولة في مقاومة التغلغل الأجنبي وحركة الاستيطان الصهيوني Zionist settlement movement على نطاق واسع، وذلك على غرار تجنيدها له في طرد الحكم المصري، كما أخطأت السلطات العثمانية مرة أخرى، إذ لم تكن العقوبات المتبعة ضد الموظفين والمسؤولين الذين لم ينفذوا تعليمات الباب العالي رادعة إلى حد بعيد، ولهذه الاعتبارات، كانت الأوامر المتعاقبة من السلطان ومتصرف القدس دون نتيجة ولا قيمة لها عند هؤلاء الموظفين الفاسدين، حتى أن السلطات العثمانية اكتشفت أن موظفي ميناء يافا المرتشين كانوا يرسلون تقاريرهم الشهرية إلى الوالي ببيانات كاذبة False statements تفيد أن كل اليهود الذين دخلوا فلسطين خلال الشهر قد عادوا من حيث أتوا[٣].

---

http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(١) أي دائرة مقر السلطان العثماني.

(٢) راجع، قناة الجزيرة، برنامج أرشيفهم وتاريخنا، الحلقة الثالثة بتاريخ ٢٠٠٩/٢/١٣
.http://www.aljazeera.net/NR/exeres/CE5F44EC-9718-499E-A071-EE039B48C40A

(٣) المركز الفلسطيني للإعلام
.http://www.palestine-info.info/arabic/alquds/others/alquds_book/2nd.htm

العهد الذهبي لنهب الأراضي في فلسطين

كـــان عهـــد الاتحـــاد والترقـــي İttihad ve Terakki Cemiyeti [١] (١٩٠٩ – ١٩١٨) هو العهد الذهبي بالنسبة لنهب اليهود لأراضي فلسطين؛ لا سيما وأن بعض قادة الانقلاب كانوا قد درسوا في مدرسة الإليانس اليهودية في سالونيك[٢] Thessaloniki وهناك وثيقة تشير إلى نوع واضح من التساهل مع تملك أجانب للأراضي الفلسطينية مع السماح لهم بتشجيرها وزراعتها مع العلم أنها ستسكن من قبل اليهود. كما نجد تقريراً أعدته دائرة المخابرات العمومية في وزارة الداخلية العثمانية ورفعته إلى مقام الصدارة السامي بتاريخ ٢١ من يناير/ كانون الثاني عام ١٩١٢ حول طلب تلقته الخارجية العثمانية من السفارة الألمانية في اسطنبول Istanbulويتعلق بإجراء المعاملة الفراغية للأرض المعدة للبناء الكائنة في مدينة حيفا Haifa والتي يرغب بشرائها الدكتور أورباخ وهو من التابعية الألمانية من مواطنه كريك كيلر، تبين الوثيقة أن السفارة الألمانية أوضحت في طلبها إلى الخارجية العثمانية أن الحكومة المحلية تمانع إجراء هذه المعاملة وأن هذه الممانعة مغايرة لأحكام بروتوكول استملاك الأملاك، وهكذا توصي الخارجية بجواز إجراء المعاملة على اعتبار أن اليهودي الألماني من قدامى الساكنين رغم أنه قدم إلى فلسطين منذ عامين ونصف فحسب[٣].

ولما كان زعماء اليهود يدركون مدى التغير الذي أصاب الدولة العثمانية، فقد أُفِد كل من جاد فرومكن والحاخام أريه ليب وديفيد بن غوريون وإسحاق بن زفي وديفيد ريميز وموشيه شاريت إلى استانبول بحجة إكمال الدراسة العليا في معاهد استانبول، والحقيقة أنهم جاءوا ليكونوا على اتصال بصناع القرار Decision-makers في العهد الجديد، وليمارسوا نشاطاً في السياسة العثمانية ولقد سعوا بدعم أثرياء اليهود لتأسيس شركة بنك المشرق البريطاني وكانت غطاءً للمركز الصهيوني في استانبول[٤].

---

(١) حركة سياسية كانت توجّه مقدرات الدولة العثمانية وتدير شؤونها منذ الانقلاب الدستوري عام ١٩٠٨م حتى هزيمة الدولة في الحرب العالمية الأولى وتوقيع معاهدة مودروس Modrus عام ١٩١٨م. تأسست عام ١٨٩٤، راجع الموسوعة العربية

http://www.arab-
.ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=1479

(٢) محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٣) راجع، قناة الجزيرة، برنامج أرشيفهم وتاريخنا، الحلقة الثالثة بتاريخ ٢٠٠٩/٢/١٣
.http://www.aljazeera.net/NR/exeres/CE5F44EC-9718-499E-A071-EE039B48C40A

(٤) محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مرجع سابق، ص ٢٥.

وقد لعب أحمد رشيد بك متصرف القدس العثماني دوراً كبيراً في السماح للكثير من اليهود في تلك الفترة وخاصة بين ١٩٠٤ – ١٩٠٦ في دخول فلسطين إذ أنه كان يؤيد الهجرة علانية برغم قرارات الحظر[١]، وفي خطبة لمهدي بك الألباني الذي عين متصرفا على القدس في ١٩١٢ في مستعمرة "مستوطنة" عيون قارة قال " إنكم قد سمعتم ولا شك بما يذيعه البعض من أن الحكومة تعارض دائماً الصهيونيين وتسعى ضدهم وهذا الأمر غير صحيح " وأضاف " نحن الأتراك متأكدين جيدا أن اليهود لم يحضروا لهذه البلاد لغايات سياسية؛ وإنما جاءوا لأنها بلاد آبائهم وأجدادهم، فهي عزيزة عليهم ومقدسة عندهم "[٢]. وقد رفعت حكومة الاتحاد والترقي القيود على الهجرة، وعلى تملك الأراضي من تشرين الأول / اكتوبر ١٩١٣ وحتى آذار / مارس ١٩١٤ وانشئ خلالها عدد من الأحياء مثل قومبانية بيت يسرائيل إضافة إلى حي نسيم يافي خارج السور، مقابل باب العمود[٣].

وقد نجحت بريطانيا في الضغط على الدولة العثمانية فاستصدرت قانون "تصرف الأشخاص الحكمية" لعام ١٩١٠ الذي أعطى الشركات حق التملك والتصرف بالممتلكات غير المنقولة، وتوجت هذه الضغوط عام ١٩١١ عندما مُنِح الأجانب حق التملك والتصرف بالأراضي كالعثمانيين تماماً في جميع الأراضي العثمانية ما عدا منطقة الحجاز بلا قيد أو شرط سوى ما يتعلق بالشئون الإجرائية والإدارية[٤].

وارتفعت نسبة اليهود إلى العرب في فلسطين إلى ٩.٧ % في سنة ١٩١٤م، لتستمر في الارتفاع لتصل مقارنة بعرب فلسطين إلى ٣٥.١ % قبيل سنة ١٩٤٨م وفي حين أن مجموع ما كان يحوزه اليهود من أراضي فلسطين قبل سنة ١٩١٤م لا يتجاوز ١.٥ %، ارتفعت هذه النسبة لتصبح ٥.٦٧% قبيل سنة ١٩٤٨م، وبينما كان مجموع عدد المستعمرات "المستعمرات "المستوطنات"" على عهد السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٧م لا يتجاوز ٢٧ مستعمرة "مستوطنة" في فلسطين كلها، ارتفع هذا العدد ليبلغ ٤٧ مستعمرة "مستوطنة" عام ١٩١٤م، ثم ٧١ مستعمرة "مستوطنة" عام ١٩٢٢م، وفي

---

(١) هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، مرجع سابق، ص ١٠٨.
(٢) وقد عزل في ١٥ / ١٢ / ١٩١٢ تلافيا لهبة شعبية من قبل أهالي فلسطين، محمد عيسى صالحية: مدينة القدس، مرجع سابق، ص ٢٦.
(٣) راجع الخبر في جريدة فلسطين، العدد ٦٣، بتاريخ، ٧ آب / أغسطس ١٩١٢، ص ٢ – ٤.
(٤) هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، مرجع سابق، ص ٢٧ – ٣٨

عام ١٩٤٤م قفز العدد إلى ٢٥٩ مستعمرة "مستوطنة"، ليصل إلى ٢٧٧ مستعمرة "مستوطنة" قبيل إعلان دولة "إسرائيل" عام ١٩٤٨م[١].

جدول رقم(١)
يبين تقسيم الأراضي في فلسطين حتى عام ١٩١٨ م[٢]

المالك وطبيعة الأراضي	المساحة بالدونم	النسبة
أراضي مسجلة باسم الدولة (أميرية)	١٢.٠٠٠.٠٠٠	%٤٢.٩
أراضي مسجلة باسم الملاك العرب	١٣.٦٧٣.٠٣٢	%٥٢
أراضي مسجلة باسم اليهود	٦٥٠.٠٠٠	%٥ ،٢
أنهار وبحيرات	٧٠٤.٠٠٠	%٢.٦
المجموع	٢٧.١٢٧.٠٣٢	%١٠٠

ويتضح من هذه الأرقام أن أملاك الدولة تشكل ٤٢.٩% وهذه النسبة تشير إلى قلة اهتمام الدولة العثمانية The Ottoman State بتوزيع الأراضي على الفلاحين وكان طبيعيا أن تبقى هذه النسبة كما هي في عهد الانتداب البريطاني British Mandate فلا ينتظر من الحكومة المنتدبة أن تهتم بتوزيع هذه الأراضي على الفلاحين فتحولت ملكية جزء منها إلى اليهود. أما فيما يتعلق بالأراضي التي انتقلت لليهود حتى عام ١٩١٨م كان معظمها من الدولة والملاك الكبار غير الفلسطينيين أما الفلاحون والإقطاعيون الفلسطينيون بشكل عام فلم يبيعوا إلا جزءا قليلاً من أراضيهم رغم الإغراءات المادية التي عرضت عليهم من قبل اليهود[٣].

كما كان اليهود يعملون على شراء الأراضي من إقطاعيين لبنانيين وسوريين مثل آل سرسق وتيان، وتويني، ومدور، وكان هؤلاء الإقطاعيون يملكون هذه الأراضي الفلسطينية عندما كانت سوريا ولبنان والأردن وفلسطين بلداً واحداً تحت الحكم العثماني يُسمى بلاد الشام أو سوريا الكبرى [٤]. ومن الجدير بالذكر أن آل سرسق اللبنانيين هم الذين اشتروا مساحة ٤٠٠.٠٠٠ دونماً دونماً (أربعمائة ألف دونم،

---

(١) راجع، غازي فلاح، إسرائيل والأرض الفلسطينية. مجلة الدراسات الفلسطينية، ع ٤٢ (ربيع ٢٠٠٠)، ص ٦٧.

(٢) المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات

http://www.malaf.info/?page=show_details&Id=12&table=table_141&CatId=162.

(٣) المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات

http://www.malaf.info/?page=show_details&Id=12&table=table_141&CatId=162

(٤) راجع، خالد الخالدي: بيع الفلسطينيين أرضهم لليهود حقيقة أم خيال؟!، المركز الفلسطيني للإعلام

http://palestine-info.info/arabic/qadhya/baya.htm.

وهي من أخصب الأراضي الفلسطينية) في سهل مرج ابن عامر (عيمق يزراعيل) [١] بثمن بخث وبالرشوة Bribery، مستغلين ضعف الفلاحين، ثم ما لبسوا أن باعوه إلى اليهود مقابل الربح الوفير وطرد أصحابه الشرعيين منه لأنهم – آل سرسق – لم يكونوا من سكان فلسطين وكانوا يقيمون في باريس في ذلك الوقت، وعملاؤ هم ووكلاؤهم هم الذين يصرفون الأمور[٢].

والجدير بالذكر أن ثمة مقاومة تمت من جانب الفلسطينيين وقام بعض الفلاحين بمهاجمة موظفي المساحة وفاوضوا آل سرسق لشراء الأرض، ولكن الصفقة تمت رغم أنف الفلاحين [٣]، وأنشأ اليهود في مرج ابن عامر على أراضي القرية العربية "الفولة" مستعمرة مرحافيا، وهي المستعمرة "المستوطنة" التعاونية اليهودية الأولى في مرج ابن عامر[٤].

كما قام اليهود العثمانيون الذين لهم الحق في شراء الأراضي، بالتواطؤ مع اليهود الأجانب فكانوا يشترون الأرض من المواطنين ويبيعونها لهم أو يقترضون من القنصليات ومن اليهود أموالا بالتواطؤ ويبيعون هذه الأرض على أنهم لا يستطيعون سداد هذه الديون ويعطونها الأرض مقابل هذه الديون ً[٥].

"القضية الخفية"

وحينما كانت مسألة انتهاب الأراضي Land grab من قبل الحركة الصهيونية تثير معارضة بين الفلاحين الفلسطينيين الذين يطردون من أرضهم من قبل ملاك أراض غائبين، وجدنا اسحق ابشتاين[٦] (١٨٦٢-١٩٤٣) Yithak Epstein يكتب مقالة

---

(١) دان ياهف: مائة وعشرون عاما من الصراع الصهيوني – الفلسطيني، مرجع سابق، ص ٩.

(٢) بكر مصباح تذيره: المجتمع الفلسطيني قبل بدء موجات الهجرة الصهيونية، ضمن كتاب الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، ج١، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥، ص ٩٥.

(٣) واصف منصور: مسألة اللاجئين جوهر القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٤) خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه (١٩٠٨ – ١٩١٨) منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٧٣، ص ٥٧.

(٥) راجع، قناة الجزيرة، برنامج أرشيفهم وتاريخنا، الحلقة الثانية بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٥ http://www.aljazeera.net/NR/exeres/F0E19CBF-C299-4A9A-AFE7-3A2AF187F207.

(٦) اسحق ابشتاين (١٨٦٢ – ١٩٤٣): كاتب صهيوني وتربوي ومتخصص في اللغة العبرية. وُلد في بيلوروسيا ونشأ في أوديسا. سافر عام ١٨٨٦ إلى فلسطين على نفقة البارون روتشيلد. وأمضى ٦ سنوات في مستوطنتي زخرون ياكوف وروش بينا. سافر إلى سويسرا حيث درس في لوزان وبعد حصوله على الشهادة من الجامعة هناك، سافر إلى اليونان حيث عمل مديراً لمدرسة الألايانس في سالونيكا بين عامي ١٩٠٨ و١٩١٥، وفي عام ١٩١٩، عاد إلى فلسطين

عنوانها "القضية الخفية" انتقد فيها، بشدة، سياسة وممارسات الحركة الصهيونية تجاه الفلسطينيين، وخاصة وسائل انتزاع الأرض من الفلسطينيين وطردهم منها. ووجه انتقاداً لاذعاً إلى القيادة الصهيونية التي "شغلت نفسها في مسائل عليا"، بينما "مسألة الموجود في فلسطين، بعمّاله وفلاحيه وسادته الحقيقيين، لم تُثّر، عملياً، ولا نظرياً"؛ وذلك لأن القادة الصهيونيين يتجاهلون أنه "يوجد في البلاد شعب كامل يتمسك بها منذ مئات السنين، ولم يدر في خلده أن يغادرها إطلاقاً [١].

ثلاثية التواطؤ والضعف والأطماع

لقد عرفت الصهيونية بحق استغلال ثلاثية تواطؤ الاستعمار وضعف العرب وأطماع اليهود، وبكفائة نادرة المثال وقد **أفاد المهاجرون الجدد من الثغرات في القوانين والإجراءات**، كما استغلوا فساد الموظفين بالرشاوى، واستندوا إلى دعم قناصل الدول الأوروبية، للالتفاف على أوامر السلطة العثمانية المركزية بحظر تلك الهجرة وامتلاك أعضائها الأراضي للاستيطان. وفي الواقع، فإن قناصل الدول الأجنبية كثيرًا ما احتجوا على القيود المفروضة على هجرة اليهود إلى فلسطين، واعتبروها خرقاً للامتيازات Capitulations التي تتمتع بها دولهم. وعبر تدخل هؤلاء القناصل، كثيرا ما رضخ الموظفون العثمانيون للضغوط وعلى الرغم من القوانين الصادرة بمنع بيع الأراضي للمهاجرين الجدد، فقد استطاع هؤلاء، وعبر السماسرة، أو **عن طريق العقود الوهمية**، من ابتياع مساحات من الأراضي لإقامة المستعمرات[٢]. وبنسبة عالية جداً، كانت تلك الأراضي تخص ملاكين غائبين [٣].

وعمل مديراً لمعهد لفنسكي للمدرِّسات في تل أبيب حتى ١٩٢٣. وكان يدعو في نهاية حياته إلى التعاون بين العرب واليهود. موسوعة اليهود واليهودية، ج٦، ص ٣١٧

(١) راجع، اسحق ابشتاين، "المسألة المجهولة"، هشيلواح، العدد ج، المجلد ١٧، السنة ١٩٠٧.

(٢) راجع، هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٣) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

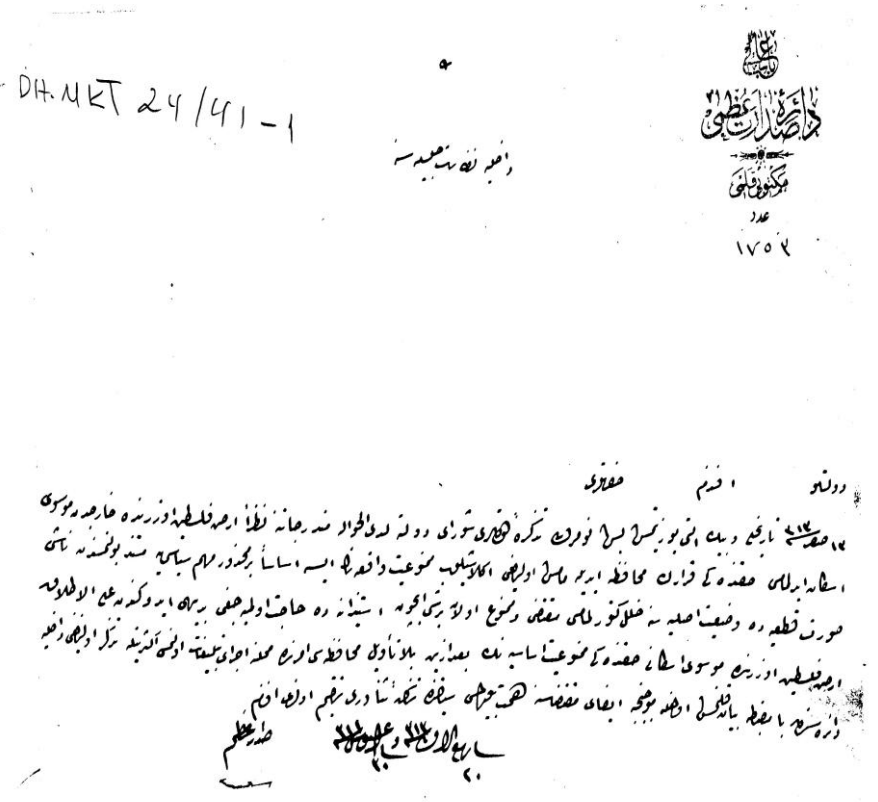

برقية حكومية عثمانية تطالب بعدم السماح ببيع الأملاك والأراضي لليهود الأجانب في ولايتي سورية وبيروت ومتصرفية القدس، وإلغاء معاملات الفراغ، وعدم السماح لاستيطان المهاجرين اليهود في أراضي فلسطين(١)

كما قام بعض السماسرة Realtors – مثل خانكين – سمسار الشركات اليهودية بالاستيلاء على معظم الأراضي الخصبة في قرية كفر سابا العربية مستخدماً أساليب العنف والقوة في عملياته التي تمكن من خلالها وبحماية البوليس البريطاني من احتلال نحو ٥٠٠٠ دونم(٢).

(1) DH.MKT 24/41١٣١٣ .R.25

مركز المخطوطات والوثائق المقدسية

http://alqudsmanuscript.com/index.php?option=com_docman&task=doc_details&gid=36&Itemid=60

(٢) هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، مرجع سابق، ص ٢١٨.

رد الفعل

أدرك عرب فلسطين The Arabs of Palestine خطر الهجرة اليهودية إلى بلادهم منذ أن اتخذت شكلاً منظماً في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ونشأ صدام بين الفلاحين العرب وسكان المستعمرات اليهودية Jewish settlements وهو الأول من نوعه في مطلع الثمانيات من القرن التاسع عشر وأرسل عدد من أعيان القدس عريضة إلى الباب العالي سنة ١٨٩١ يطالبون بوقف الهجرة اليهودية ومنع اليهود من امتلاك الأراضي(١).

وإزاء فشل الإجراءات العثمانية في إيقاف الهجرة اليهودية، وبالتالي، ازدياد النشاط الصهيوني الاستيطاني، برزت المقاومة Resistance المحلية لهذه الظاهرة. وإذ لم تكن المقاومة منسقة ومنظمة، فإنها تفجرت بصورة عفوية، وبالتواكب مع عمليات شراء الأراضي من الملاكين الغائبين وطرد الفلاحين Expulsion أو المرابعين منها، وإقامة المستعمرات عليها. وكان كلما توسعت عملية الاستيطان وانتشرت في الريف، عمت المقاومة واتسع نطاقها. فشراء الأراضي عبر السماسرة، وفي صفقات مشبوهة وسرّية، جعل المواجهة حتمية بين الفلاحين المقيمين عليها والمستعمرين "المستوطنين" الذين عمدوا إلى طردهم منها،وبالتالي، قطعوا عنهم أسباب معيشتهم فجأة، ومن دون سابق إنذار. فكان طبيعياً أن يقاوم الفلاحون هذه الظاهرة، ويعمدوا إلى العنف في مواجهة لجوء المستعمرين "المستوطنين"، الذين تدعمهم السلطة، إلى إجلائهم بالقوة(٢).

وكانت يد السلطة ثقيلة على الفلاحين في تنفيذ العقود المشبوهة، وخفيفة على المستعمرين "المستوطنين" في تنفيذ أوامر الدولة وتعليماتها. وكما اصطدم المستعمرون "المستوطنون" مع الفلاحين، كذلك الحال مع القبائل البدوية التي حرمت من مراعي قطعانها. وقام الطرفان - الفلاحون والبدو - ومن دون تنسيق، بعمل متكامل في مهاجمة المستعمرات وحرق المزارع، وتخريب المرافق. وتتضح يوميات المستعمرين "المستوطنين" الأوائل بأخبار هذه المقاومة، التي يسمونها أعمال نهب وتخريب Looting and sabotage (٣).

كانت سياسة استيلاء اليهود على الأراضي من السكان المحليين بصور وأساليب غير شرعية تهدف إلى تفريغ الأرض من سكانها الأصليين Dump the

---

(١) المركز الفلسطيني للتوثيق: الحركة الوطنية الفلسطينية قبل عام ١٩٤٨
http://www.malaf.info/?page=ShowDetails&Id=14&table=table_141&CatId=162

(٢) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(٣) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

land of its inhabitants قد أدى في نهاية الأمر إلى بروز حركة المعارضة السياسية الفلسطينية للمخططات اليهودية وجدير بالذكر أن مؤسسات الشعب الفلسطيني بأكملها شاركت في عملية فضح المؤامرة، ومنذ المراحل الأولى المبكرة لها. فقد حدثت اصطدامات بين الفلاحين الفلسطينيين وبين المستعمرين "المستوطنين" اليهود ١٨٨٦م، خاصة مع مستعمرة (بتاح تكفاه) على خلفية طرد فلاحي قريتي الخضيرة[١].

وعندما جاء رشاد باشا متصرفاً للقدس وأبدى محاباة للصهاينة قام وفد من وجهاء القدس بتقديم الاحتجاجات ضده في مايو ١٨٩٠ وقام وجهاء القدس في ٢٤ يونيو ١٨٩١ بتقديم عريضة للصدر الأعظم (رئيس الوزراء) في الدولة العثمانية طالبوا فيها بمنع هجرة اليهود الروس إلى فلسطين وتحريم استملاكهم للأراضي فيها[٢] وقام علماء فلسطين وممثلوها لدى السلطات العثمانية بالتنبيه على خطر الاستيطان اليهودي والمطالبة بإجراءات صارمة لمواجهته. وترأس الشيخ محمد طاهر الحسيني مفتي القدس سنة ١٨٩٧ هيئةً محلية ذات صلاحيات حكومية للتدقيق في طلبات نقل الملكية في متصرفية بيت المقدس، فحال دون انتقال أراض كثيرة لليهود.

وفي سنة ١٨٩٩ نشر هنري لامانس[٣] اليسوعي مقالا في مجلة المشرق، استعرض فيه المستعمرات اليهودية وتاريخ نشأتها، والجمعيات والأفراد الذين يمثلونها. وحذر من أطماع اليهود في فلسطين وشرق الأردن[٤].

وكان للشيخ سليمان التاجي الفاروقي[٥] الذي أسس الحزب الوطني العثماني في سنة ١٩١١ دوره في التحذير من الخطر الصهيوني، وكذلك فعل يوسف الخالدي،

---

(١) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢١٣.

(٢) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٥، ص٤١-٤٢.

(٣) ولد هنري لامنس عام ١٨٦٢م في بلجيكا واتخذ لبنان موطنًا ودرس في الكلية اليسوعية ببيروت، واشتغل بالتدريس فيها ١٨٨٦م وتخصص في تاريخ الشرق الأدنى وحضارة أهله ,وأتقن اللغة العربية وعين أستاذًا بمعهد دراسات الشرق الأدنى في الكلية اليسوعية ببيروت، وتوفي في مايو ١٩٣٧م للمزيد راجع، أنور محمود زناتي: زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٦ م.

(٤) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢١٥.

(٥) صحافي، محام، شاعر، ولد في الرملة وخلال ثورة العرب على الأتراك، جادت قريحة الفاروقي بطائفةٌ من القريض، أبرز فيها فضل العرب وأمجادهم، ودعاهم إلى تحقيق المطامح القومية العربية، والمحافظة على اللغة العربية، وكان يذيل هذا القريض بتوقيع "بدوي

وروحي الخالدي، وسعيد الحسيني ونجيب نصار[١] وشكري العسلي نائب دمشق الذي عرف بمواقفه الشجاعة والحازمة بحيث شجع النواب الآخرين على انتقاد سياسات حكومة الاتحاد والترقي وتميز العسلي بتصديه القوي لعمليات بيع الأراضي وبخاصة الصفقة التي عقدتها اسرة سرسق مستخدما في ذلك كل الوسائل القانونية والإجرائية إلا أن عميد أسرة سرسق في بيروت استغل علاقته بالوالي العثماني وتم نقل العسلي من منصبه ومرر إبرام الصفقة[٢].

وفي نفس العام ١٩١١ صدرت صحيفة فلسطين[٣] لعيسى العيسى[٤] وقد شاركت الصحيفة أيضاً في حملة التوعية، كما شاركت في ذلك صحف المفيد والرأي العام والحقيقة البيروتية والمقتبس الدمشقية[٥].

وينقل ديفيد هيرست عن ولتر لوكير أن الصهاينة كانوا في سنة ١٩١١ يتساءلون علنا عما إذا كان في المستطاع اقناع عرب فلسطين بالهجرة الى البلاد

فلسطين.راجع، السوافيري: الأدب العربي المعاصر في فلسطين ص٥٠،، والموسوعة الفلسطينية: ج٢ ص٥٨٦، ويعقوب العودات: من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ص٥٠٢.

(١) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ص٤٣-٦٧.

(٢) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢١٩.

(٣) جريدة فلسطين: من أهم الجرائد الفلسطينية وأكبرها انتشارًا، وقد أصدرها عيسى داود العيسى في مدينة يافا عام ١٩١١، وكانت في اول عهدها اسبوعية صغيرة، ثم اخذت تظهر مرتين في الاسبوع، ثم تحولت إلى جريدة يومية بثماني صفحات فيما بعد، ثم تطورت حتى أصبحت من اهم الجرائد الفلسطينية. وتعتبر هذه الجريدة التي استمرت في الصدور حتى عام ١٩٦٧، من أرقى صحف فلسطين، واستطاعت بفتح صفحاتها للادباء والكتاب، ان تعكس صورة صادقة عن الحياة الادبية والثقافية في فلسطين. صدرت جريدة فلسطين بين السنوات ١٩١١-١٩٦٧، وكانت من أكبر الصحف الفلسطينية وأغزرها مادة، واكثرها انتشاراً وتمثيلاً للرأي العام الفلسطيني. كانت تقرأ في مدن فلسطين وقراها، وتوزع أعدادها في الخارج، للمزيد راجع، عمر أمين مصالحة،: من أرشيف الصحافة: نشأة صحيفة "فلسطين" في العهد التركي١٩١١-1967، ٢٠٠٦.

(٤) ولد عيسى العيسى في مدينة يافا، وقد اشتهرت أسرته بعطائها للامة العربية في فلسطين، كانت اول صحيفة عربية صدرت، مجلة "الاصمعي" للمرحوم حنا العيسى. والآن هناك صحيفتان كبيرتان يحررهما اثنان من آل العيسى، الاولى جريدة "الف باء" الدمشقية لصاحبها الاستاذ يوسف العيسى، وجريدة "فلسطين" اليافية لصاحبها عيسى داود العيسى. تربى العيسى في مدارس فلسطين الابتدائية، ثم درس بعد ذلك بضع سنين في جامعة بيروت الاميركية، عمل استاذًا في مدارس القدس، اثناء عمله استاذاً تعرف على خليل السكاكيني، ولعل هذا الامر يغنينا عن القول الكثير في وصف العيسى ومبادئه، راجع، عمر أمين مصالحة،: من أرشيف الصحافة: نشأة صحيفة "فلسطين" في العهد التركي (١٩١١ – ١٩٦٧)، ٢٠٠٦.

(٥) علي محافظة: الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، ١٩١٨ – ١٩٤٨،مركز الكتب الأردني، عمان ١٩٨٩، ص ٢٢.

العربية المجاورة حيث يمكنهم شراء أراض جديدة بثمن ما يبيعون من أراضيهم في فلسطين؛ بل إن الصهاينة فكروا في أن يقوموا هم بشرائها لهم[١].

جريدة الكرمل تكشف المؤامرة مبكراً

و قد شاركت الصحف أيضا في فضح المؤامرةExpose the conspiracy كالكرمل وفلسطين والدفاع والجامعة العربية؛ فعندما أقدمت السلطة العثمانية على بيع الأراضي للمنظمات اليهودية مثل الصندوق القومي اليهودي (Keren Kayemet أبرزت "الكرمل"[٢] بشكل لا يقبل الجدل سياسة السلطة العثمانية ثم من بعدها الانتداب البريطاني British Mandate لتمليك اليهود أراضي فلسطينية فكتب نجيب نصار[٣] يقول[٤] " في نابلس قامت في تموز / يوليو ١٩١٣ مظاهرة ضد اعتزام السلطات بيع أراضي بيسان التابعة للدولة للمنظمة الصهيونية، كما أرسل المزارعون في سهل بيسان برقيات احتجاج على بيع أراضيهم"، ودعت الكرمل الى حتمية "تنظيم العمل والجهود كانت ذات اثر فعال في التمهيد لظهور جمعية مكافحة الصهيونية التي اتخذت من نابلس مقرها الرئيسي مع اقامة فروع لها في بعض المدن الفلسطينية الأخرى".

وكتب فرانسس إملي نيوتن[٥] في كتابه "خمسون عاماً في فلسطين": "بدأت أفتح عيني على الصهيونية من مقالات تنشر في الكرمل عن إقبال اليهود على شراء الأراضي وانشاء المستعمرات"[١].

---

(١) ديفيد هيرست: البندقية وغصن الزيتون، جذور الصراع في الشرق الأوسط، ترجمة عبد الرحمن إياس بيروت، رياض الريس للكتب والنشر ٢٠٠٣، ص ٢٩١.

(٢) الكرمل صحيفة فلسطينية أسّسها نجيب نصار في حيفا عام ١٩٠٨، ترافق إصدار الصحيفة مع إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨، والذي اقتضى بإعطاء قدر يسير من الحرّيات للولايات و ضمن ذلك حرية الصّحافة و الرأي و السماح بتأسيس أندية و جمعيات،، راجع، عبد الوهاب الكيالي تاريخ فلسطين الحديث ص ٥٤، وعيسى السفري" -فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، جزءان/ يافا ١٩٣٧.

(٣) نجيب نصار شيخ الصحافة الفلسطينية ومؤسس صحيفة" الكرمل" ولد نجيب نصار في لبنان عام ١٨٧٣، درس في الجامعة الأمريكية في بيروت، فرع الصيدلية والعلوم السياسية أتاحت الفرصة لنجيب نصار أثناء عمله في مدينة طبريا والقدس الإختلاط المباشر بالمهاجرين اليهود الذين سكنوا في مناطق الجليل والقدس تعرف نصار الى المخطط اليهودي، والى فكرة إقامة الدولة اليهودية على إرض فلسطين بحسب جدول زمني منظم، فكان هذا الامر دافعاً اساسياً إلى تأسيسه جريدة "الكرمل "الحيفاوية وأسس نصار الكرمل لغاية واحدة فقط هي الكتابة ضد اليهود في فلسطين حتى لا يستمر العرب في بيع أراضيهم لليهود، راجع، عبد الوهاب الكيالي تاريخ فلسطين الحديث، ص ٥٤.

(٤) الكرمل: ١٢ / ٨ / ١٩١٣ – و ١٩ / ٩ / ١٩١٣.

(٥) الكرمل: ١٩١٣/٩/٣.

صفحات جريدة الكرمل

(1) Frances Emily Newton- Fifty Years in Palestine,(London: Cold Harbour Press, 1948) P.31 .

وكتب يوسف زمريق من بيسان في الكرمل: "أراضي بيسان رخيصة في ثمنها، غالية في مواردها، عظيمة في موقعها وأهميتها. فالدونم الواحد منها يباع بجنيهين الى ثلاثة جنيهان ونصف وهو يدر من الأرباح أضعاف أضعاف ثمنه، بصرف النظر عن أنه يبقى ذخيرة ثمينة محفوظة لصاحبه يؤمن حياة عائلته وأبنائه من بعده. كل دونم أرض في غور بيسان حصن من حصون القومية العربية"(١).

كانت "الكرمل" دوماً المنادية الى بقاء الوطن كاملاً وأن تظل اليقظة امام أعين سكان البلاد، هذه اليقظة التي تعرقل عمل تجار الأراضي وعمل (كيرين كايميت(التي كانت تشتري الأراضي لحساب الوكالة اليهودية وفي أحد الأعداد قالت " يبدو لنا أن الحركة الصهيونية تتقدم بانتظام ونحن نتقهقر ونطبق حركة تقهقرنا على النظام"(٢).

وقد جرى التعبير عن القلق بشكل واضح، عندما أوصى رجل نابلسي في جريدة" فلسطين" بإقامة شركة، يساهم فيها أعيان من جميع المدن الرئيسية في فلسطين: القدس، يافا، حيفا، غزة، ونابلس. وعلى الشركة شراء الأراضي الحكومية والأراضي المزروعة لإنقاذها من أيدي الصهيونيين. واقترح الكاتب أن تسمى الشركة باسم جدير بالإشارة "شركة وطنية فلسطينية"(٣).

وجريدة فلسطين – السابق ذكرها - الذي نشر صاحبها عيسى داود العيسى سلسلة مقالات عام ١٩١٤ كانت ترجمة لكتاب "البروغرام الصهيوني السياسي" للمؤرخ الصهيوني أبراهام اوستكين" الذي تضمن أهداف السياسة الصهيونية للاستيلاء على فلسطين، وتحليل الوسائل والأساليب وربطها بالغايات، وأحدثت ترجمة هذا الكتاب أثراً قوياً في إدراك الخطر الصهيوني وقد رفعت مسألة الخطر الصهيوني إلى مجلس المبعوثان في العاصمة العثمانية، وتولى رفعها أبناء فلسطين النواب في المجلس وهم: روحي الخالدي وسعيد الحسيني وراغب النشاشيبي ونائب دمشق شكري العلي، وطالب هؤلاء النواب بسن تشريع يمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين، وقد ساعدت إثارة مسألة الخطر الصهيوني إلى إنشاء "الحزب الوطني العثماني" بهدف توجيه كل الجهود نحو معارضة قانونية للصهيونية وتذكير الحكومة بواجباتها(٤).

---

(١) الكرمل: ١٩١٣/٩/٣.

(٢) الكرمل: ١٩١٣/١/٣.

(٣) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(٤) للمزيد راجع، بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، ١٩١٧ – ١٩٤٨، سلسلة الدراسات، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٨٣، ص ٤٤ المركز الفلسطيني للتوثيق: الحركة الوطنية الفلسطينية قبل عام ١٩٤٨

وأشارت جريدة فلسطين إلى الخطر المحدق بالبلاد قائلة " أنه ما دام الصهيونيون يستولون على البلد قرية قرية فغداً تباع القدس بأجمعها وفلسطين بكلها، فإذا لم نتدارك الأمر كان حظ الدولة فيها حظها في طرابلس الغرب أو ربوع البلقان"[١]. وقد أسهم عارف العارف بكتابة مقالات ضد الصهيونية في الصحافة العربية الفلسطينية. وعلى سبيل المثال، في كانون الثاني/ يناير من عام ١٩١٣ ادعت صحيفة" فلسطين" رداً على عدد من استملاكات الأرض الجديدة على يد اليهود، فكتب يقول " إذا استمر هذا الوضع، فسوف يسيطر الصهيونيون على بلادنا، قرية بعد قرية، ومدينة بعد مدينة؛ فغداً ستباع القدس كلها، وبعدها فلسطين كاملة ".

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٣ أعرب سيف الدين الخطيب في "الكرمل" عن دهشته من أن وطنياً عربياً أيّاً كان، يمكنه التفكير في "التفاهم" مع الصهيونيين . مواقف القوميين الشباب الآخرين في فلسطين ليست معروفة. إلا أنه من المعقول الافتراض أنهم توافقوا مع ابن جيلهم "خليل السكاكيني" الذي كتب في يومياته بتاريخ ٢٣ شباط/ فبراير١٩١٤: "ما يثير اشمئزازي هو هذا المبدأ الذي اعتمدته الحركة (الصهيونية) وهو استعباد (حركة قومية) لأخرى من أجل تعزيز قوتها الذاتية، وكذلك تعمدها إبادة Genocide أمة كاملة من أجل أن تحيي ذاتها، وكأنما هي بذلك تحاول سرقة استقلالها من الأخرى، وانتزاعه بالخداع من يد القدر ...وهذا الاستقلال المشترى بالمال ومن خلال انتهاز الفرصة التي تستدعيها الغفلة، والعجز وبلادة الحواس لدى الأمة الأخرى، هو استقلال هشّ، أساسه بالمرض. ماذا سيفعل اليهود، إذا استيقظ الشعور القومي للأمة العربية، كيف يستطيعون الصمود(في مواجهة العرب)"؟ وبعد عدة أيام ادّعى: "حق (اليهود) في فلسطين عفى عليه الزمن؛ وحقنا حيّ ولا يمكن الطعن به "[٢].

وفي سنة ١٩١٣ قام جورجي زيدان – مؤسس دار الهلال في القاهرة – بجولة في ربوع فلسطين، اطلع خلالها على النشاط الصهيوني / وكتب سلسلة مقالات في الهلال، نوه فيها بقدرات وامكانيات الصهاينة المالية والإدارية، كما نبه إلى الخطر المحدق بمستقبل الشعب العربي في فلسطين[٣].

---

http://www.malaf.info/?page=ShowDetails&Id=14&table=table_141&CatId=162

(١) فلسطين: ١٩١٣/١/٢٥.

(٢) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(٣) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢٢٠.

ووجدنا أيضاً صحيفة المنادي [١] – التي أسسها سعيد الجار الله [٢] - توجه نداء تحت عنوان (إلى مأمور الطابو) طالبت فيه مأمور طابو القدس بالكشف عن الوسيلة التي جرى فيها نقل ألف دونم من أراضى قرية صور باهر إلى الحركة الصهيونية في حين أنها ملك للوقف. وقد استغل اليهود فترة انشغال الدولة العثمانية The Ottoman State في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) فاحتلوا أراضي من الفلسطينيين حتى بلغ مجموع ما حازوه بين ١٩١٤-١٩١٧ (٥٨١، ٣٦٣) دونم وهكذا أصبح إجمالي ما حاز اليهود من أراض في فلسطين حتى نهاية الحكم العثماني وبداية الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ (٥٨١ر٢٤٥ دونم) [٣]. ويؤكّد (روجيه جارودي): أن الصهاينة أيام وعد بلفور Balfour Declaration ١٩١٧م كانوا لا يملكون إلاّ ٢.٥% من الأراضي[٤].

ونجد أيضاً أحمد العارف (والد عارف العارف) - الذي فاز في انتخابات ١٩١٢، إلا أنه هزم في ١٩١٤-، قال لمحرر" الإقدام" " موضوع أحاديث سكان فلسطين الوحيد حالياً. .هو مسألة الصهيونية. الجميع يخشاها ويخافها – والمسألة الصهيونية، وإن كانت في الظاهر اقتصادية، إلا أنها، في الحقيقة سياسية هامة. ولو طالعنا تاريخ الشعوب القديمة والأراضي التي فقدتها / فإننا نتأكد من أن جميع الأحداث السياسية قامت على أسس اقتصادية. والحكومة تنظر إلى الصهيونية على أنها مسألة اقتصادية. إلا أنه ما من شك في أنها عاجلا أم آجلا، ستتأكد أن المسألة سياسية هامة. وستجري، لامحالة تغيرات وتبدلات في جغرافية فلسطين – إذا استمر الأمر على هذا النحو في المستقبل. ونشاط الصهيونيين للحفاظ على لغتهم، عاداتهم ومواطنيتهم – يؤكد استنتاجي هذا" [٥].

وفي ٨ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٣، نشر الشيخ سليمان التاجي الفاروقي في صحيفة " فلسطين" قصيدة سياسية، تعبر عن ذاتها: "الخطر الصهيوني". كان المؤلف شيخاً ضريراً من الرملة، صاحب أملاك في محيط يافا، ورد ذكره في ١٩١١ كعضو هام، سواء في "الحزب الوطني العثماني" أو في "الجمعية الاقتصادية التجارية" في يافا. وكان مطلع القصيدة في صحيفة "فلسطين": "أبناء الذهب الرنان،

---

(١) بتاريخ ١٩١٣/١٢/٧م.

(٢) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢١٩.

(٣) هند أمين البديري: فلسطين وأكذوبة بيع الأراضي، جريدة الأهرام، ع -٤١٤٣٧، ١٩-٥-٢٠٠٠م

(٤) عيسى القدّومي: فلسطين وأكذوبة بيع الأرض. مركز بيت المقدس للدراسات التّوثيقيّة، ص ٥١

(٥) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

توقفوا عن خداعنا" وفي استكمال القصيدة طور الفاروقي في لهجة لاسامية عتيقة، بحسبها يملك اليهود أموالاً طائلة، وبواسطتها يستطيعون فرض إرادتهم على شعوب ساذجة وغير واعية[١].

والجدير بالذكر أنه ما من مستعمرة يهودية قامت في فلسطين، ومنذ البداية من دون صراع مع جوارها من الفلاحين والبدو. والدعاية الصهيونية الموجهة، الرامية إلى تغييب سكان فلسطين الأصليين، لتبرير منح الحركة الصهيونية "البراءة الدولية"، تفضحها محاضر جلسات لجان المستعمرات ومذكرات المستعمرين "المستوطنين" الأوائل، التي أبرزت شكواهم من المقاومة العربية .و هذه الدعاية المضللة والكاذبة تفضحها بصورة صارخة الذرائع والتبريرات التي ساقها المستعمرون "المستوطنون" لإنشاء وحدات عسكرية مسلحة لحماية المستعمرات. كما يدحضها الجدل بين المستعمرين "المستوطنين" الأوائل ورجال الهجرة الثانية، بشان ضرورة استبدال الحراس العرب بمهاجرين يهود للقيام بالدفاع عن المستعمرات أمام هجمات المقاومين العرب. كما تكشف مراسلات القناصل الأجانب زيف هذه الدعاية، إذ دأب هؤلاء على الطلب من السلطنة العثمانية إبعاد الفلاحين العرب عن الأرض بالقوة، وتثبيت المستعمرين "المستوطنين" عليها، وحمايتهم. وفي النص قيد البحث الكثير من الإشارات إلى هذه المقاومة، والكاتب يستند في إيرادها إلى عدد من الأراشيف التي تضم وثائق من تلك الفترة، سواء منها اليهودية، أو التركية، أو الأجنبية، أو حتى العربية. ومن هنا أهمية ترجمة هذه المقالة، الأمر الذي كان الدافع الأساسي للقيام بالعمل لوضعه في متناول القارئ العربي[٢].

وحين يجمع كل من هنري لامانس اليسوعي ونجيب عازوري ونجيب نصار وعيسى العيسى وجورجي زيدان، برغم تباين منطلقاتهم الفكرية ومراكزهم الاجتماعية، على رفض الصهيونية، وتفنيد ادعاءاتها، والتحذير من عواقبها، والتنبيه الى مخاطرها، ففي ذلك الدليل القاطع على تناقض المشروع الصهيوني مع العرب مسلمين ومسيحيين، على اختلاف انتماءاتهم [٣].

وإضافة إلى الحملة في الصحف، ظهرت كتابات تاريخية وأدبية تحرض العرب على مناهضة الصهيونية. فكتب إسعاف النشاشيبي (١٩١١) كتاب "الساحر واليهودي"، ومعروف الأرناؤوط كتاب " فتاة صهيون" ووضع محمد روحي

---

(١) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(٢) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(٣) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢٢٤.

الخالدي (١٩١١) مخطوطة كتاب "تاريخ الصهيونية"، وأوضح فيه أن الهدف الصهيوني هو إقامة دولة يهودية في فلسطين. وميز الخالدي الصهيونية عن اليهودية، ونبه إلى مخاطر نشاط المستعمرين "المستوطنين" في فلسطين.

وتناول الشيخ محمد رشيد رضا الموضوع في "المنار"، ونبه إلى مخاطر الصهيونية على العرب ومستقبلهم، كما أوضح نجيب عازوري[١]، في مقدمة كتابه "يقظة الأمة العربية"[٢] أخطار الصهيونية على الوطن العربي، مشيراً إلى الصراع الدموي الذي سيتولد عن محاولات تجسيد المشروع الصهيوني في فلسطين. وشنّت الصحف التي تأسست في فلسطين في تلك الفترة حملة على النشاط الصهيوني، تكشف مخططاته، ودعت الناس إلى الوقوف في وجهه. وبذلك عمقت الوعي العربي بهذه المؤامرة الدولية، وبأبعادها الخطرة على حاضر الأمة العربية ومستقبلها. وطالبت الصحف الحكومة العثمانية بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين، وتشديد الرقابة على بيع الأراضي. وقد تعرضت تلك الصحف مراراً للإغلاق بأوامر السلطة العثمانية، عقاباً لها على نشر مقالات معادية للصهيونية، وانتقاد سياسة الحكومة إزاء مخططاتها ونشاطاتها. وقد عرض كاتب المقالة مواقف هؤلاء الكتّاب بإسهاب، كما حاول تقديم تقويم موضوعي لمواقف الصحف المختلفة، إلا أنه لم يفلح في إخفاء انحيازاته الصهيونية في تفسيراته لما ورد في المصادر المتعددة التي استند إليها في كتاباته[٣].

كما برز من رجالات فلسطين يوسف ضيا الخالدي وسليمان التاجي الفاروقي وإسعاف النشاشيبي... ممن تحدثوا عن الخطر الصهيوني. وكانت سياسات "التتريك" والمحاباة للصهيونية التي مارستها حكومة الاتحاد والترقي باعثاً رئيسياً لأبناء فلسطين والعرب للانضمام للجمعيات العربية، التي أخذت تطالب بالإصلاح ضمن الدولة العثمانية، مثل حزب اللامركزية والعربية الفتاة وغيرها[٤].

وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى زار جورجي زيدان فلسطين، وكتب عن مشاهداته هناك في مجلة "الهلال" ١٩١٤. وكذلك كتب إبراهيم سليم النجار في

---

(١) عمل كمسئول في الإدارة العثمانية بمتصرفية القدس بين عامي ١٨٩٨ – ١٩٠٤، راجع، أسعد رزوق اسرائيل الكبرى، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢) باللغة الفرنسية، صدر في باريس، وقام بتعريبه وقدم له أحمد أبو ملحم ونشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨ م.

(٣) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(٤) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط٩، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥، ص٣٧-٦٧.

الأهرام ١٩١٤، تحت عنوان "الإسرائيليون في فلسطين" كما قام محمد الشنطي، صاحب صحيفة " الإقدام " القاهرية، بجولة في فلسطين، أجرى خلالها مقابلات مع المرشحين للبرلمان العثماني، من أجل التعريف بمواقفهم من الصهيونية. وفي المقابلة مع المربّي خليل السكاكيني ٢٩ / ٣ / ١٩١٤ قال: "إن الصهيونيين يريدون أن يمتلكوا فلسطين، قلب الأقطار العربية والحلقة الوسطى التي تربط شبه الجزيرة العربية بأفريقيا. وهكذا يبدو أنهم يريدون كسر الحلقة، وتقسيم الأمة العربية إلى جزأين للحيلولة دون توحيدها. فعلى الشعب أن يكون واعياً، إذ أنه يمتلك أرضاً ولساناً. وإذا شئت أن تقتل شعباً فاقطع لسانه واحتل أرضه. وهذا بالضبط ما يعتزم الصهيونيون أن يفعلوه[١].

وبتأثير حملة الصحف، نقل الزعماء السياسيون الفلسطينيون معارضة الشعب إلى البرلمان العثماني والأوساط السياسية الدولية. وفي البرلمان العثماني الجديد ١٩٠٨، برز موقف المندوبين العرب الموحد من الصهيونية، ومن موقف تركيا الفتاة المتعاطف معها. وأذكرت الحكومة تعاطفها، ولكن المعارضة هاجمتها بشدة ١٩١١ في "مجلس المبعوثان"، مما اضطرها إلى التراجع واتخاذ مواقف أكثر حزماً تجاه نشاط المستعمرين "المستوطنين" اليهود في فلسطين. واستعرض كاتب المقال مواقف المندوبين الفلسطينيين والعرب في البرلمان العثماني، مستنداً إلى الأراشيف التركية في استنبول، كما إلى الصحف العربية من تلك الفترة ومن هنا أهميته[٢].

ولكن للأسف رغم ذلك ظلت المقاومة Resistance العربية مبعثرة، وتعاني حالة من الانفصام بين النظرية والتطبيق. فحالة الوعي التي كانت في طور التشكل، والتي تمحورت حول القضية الضاغطة - العلاقة مع الحكم العثماني - مع أنها لم تكن غافلة عن الخطر الصهيوني، وكذلك الوضع السياسي -الاجتماعي للشعوب العربية لدى انطلاق الصهيونية كحركة سياسية، تمتلك مشروعاً استيطانياً قابلاً للتجسد، لم يكن من شأنهما تأهيل الحركة القومية العربية لبناء التنظيم السياسي، وبالشكل المطلوب، القادر على مواجهة الحركة الصهيونية ودحرها .وكان واضحاً أن الحركة القومية العربية لم تكن تمتلك برنامجاً – فكرياً وسياسياً وتنظيمياً، أو عملياً – موحداً في مواجهة النشاط الصهيوني، فظلت المناهضة العربية للمشروع الاستيطاني تتسم بطابع العفوية والارتجال، وبالتالي، بردات الفعل التلقائية. وهذا الوضع بشكل عام لا

(١) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256
(٢) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨.
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

يزال هو واقع الحال السائد في الجانب العربي راهناً رغم مرور أكثر من قرن على الصراع، بشكل أو بآخر، مع المشروع الصهيوني[١].

نوائب الدهر

وتوالت نوائب الدهر على فلسطين وأهلها، ففي عام ١٩١٥ تعرض الفلسطينيون لحملة تجنيد إجباري كثيف وتمت مصادرة منتجاتهم الزراعية وثرواتهم الحيوانية وعرباتهم لدعم الجهد العسكري التركي، وزادت على ذلك أن استخدمت بعض الأشجار المثمرة وقوداً، وكان من نتيجة هذا كله أن تحولت الأراضي المزروعة إلى خرائب[٢]، وفي يونيو/ حزيران من عام ١٩١٧ تم اختيار الجنرال إدموند اللنبي Allenby Edmund Henry Hynman لقيادة حملة غزو فلسطين وأعرب له لويد جورج David Lloyd George عن رغبته في أن يتم الاستيلاء على القدس مع حلول أعياد ميلاد عام ١٩١٨، وقد دخل اللنبي القدس في ١١ من كانون الأول / ديسمبر عبر بوابة يافا Jaffa حيث أعلنها صراحة " اليوم انتهت الحروب الصليبية[٣].

(١) الياس شوفاني: العرب والصهيونية(١٨٨٢ -١٩١٤) ، موقع عرب ٤٨.
http://www.arabs48.com/display.x?cid=51&sid=188&id=67256

(٢) عوني فرسخ: التحدي والاستجابة في الصراع العربي – الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢٠٧.

(٣) باميلا آن سميث: فلسطين والفلسطينيون، مرجع سابق، ص ٤٩.